مجلـــــــــــة

آداب الرافدين

علميّـــــة محكّمـــــة

فصليـــّـــة

تصـــدر عن كليـــة الآداب

العـــدد: الرابع والسبعون

السنة: الثامنة والأَربعون

الموصـــــــل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: أربعة وسبعون — السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير هيئة التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ لغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ لغة عربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــة
م.مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني	– مسؤول النشر الإلكتروني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـــوان	الصفحــة
جماليات التواصل الكلامي في الحديث النبوي صحيح البخاري أنموذجاً أ.م.د. محمد ذنون يونس	١ – ٣٤
التجديد الأسلوبي في الخطاب الشعري عند ابن عبد ربه الأندلسي – (٢٤٦ – ٣٢٨ هـ) المحصات انموذجاً أ.م.د. مازن موفق صديق الخيرو و أ.م.د. غيداء أحمد سعدون	٣٥ – ٥٠
الثلاثيات القرآنية دراسة بلاغية ـ سورة البقرة إنموذجاً ـ أ.م.د. قاسم فتحي سليمان	٥١ – ٩٨
جماليات الأنساق الضدية في شعر ابن مُقبل أ.م.د.آن تحسين الجلبي	٩٩ – ١٢٨
شعر الشمردل اليربوعي دراسة إيقاعية أ.م.د. نهى محمد عمر و م.م. نور مخلف صالح	١٢٩ – ١٦٦
الترابط النحوي والتماسك النصي في أدعية النوم قوله (ﷺ) : (اللهم اسلمت نفسي .....) انموذجاً م.د.عبد الله خليف خضير الحياني	١٦٧ – ١٨٤
ديوان المعتمد بن عباد (دراسة في معجمه الشعري) م.د.فـواز أحمد محمد صالح	١٨٥ – ٢٢٢
الحِجاج في بناء الجملة الاستفهامية في القرآن الكريم (نماذج تطبيقية) م.م.سعد موفق سعيد	٢٢٣ – ٢٤٤
اللغة الشعرية في شعر المتنبي م.م.طارق حسين علي النعيمي	٢٤٥ – ٢٦٤
وجوه مطالب التفسير في ضوء مقدمة جامع البيان للطبري أ.م.د. عبدالستار فاضل خضر النعيمي	٢٦٥ – ٢٩٦
مفهوم التسامح في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزيباري	٢٩٧– ٣٢٠
أثـر الرؤيـة السيـاقية في دلالـة العـامِّ عند الإمـام الشـاطبـيِّ(٧٩٠هـ) م.د. عمار غانم محمد المولى	٣٢١– ٣٦٠

حماية الحيوان في القانون العراقي القديم أ.م.د. عبدالرحمن يونس عبدالرحمن الخطيب	٣٦١– ٣٨٠
انتشار الإسلام في بلاد ماوراء النهر أ.د. أحمد عبدالعزيز محمود	٣٨١– ٤٠٢
الحياة العلمية في بلاد القفقاس (ارمينية واذربيجان) حتى نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي أ.م.د.محمد عبدالله احمد و م.د. عماد كامل مرعي	٤٠٣ – ٤٣٤
مكانة الأحباش في السنة النبوية أ.م.د.بشار اكرم جميل	٤٣٥– ٤٥٠
التأمين الاجتماعي في بريطانيا ١٩٠٥–١٩٤٥ دراسة تاريخية أ.م.د. اياد علي الهاشمي	٤٥١– ٤٨٨
آراء ابن الجوزي في الشيخ الصوفي سري السقطي (ت٢٥٣هـ /٨٦٧م) أ.م.د. عبد القادر احمد يونس	٤٨٩– ٥١٠
مختصر كتب الوفيات في العصر المملوكي مخطوطة المنتهى في وفيات أولي النهى لابن حمزة الدمشقي (ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م(انموذجًا) أ.م.د. رائد أمير عبدالله الراشد	٥١١– ٥٥٠
عملية السلام في الشرق الأوسط ١٩٩١_١٩٩٣ وموقف الولايات المتحدة الامريكية منها م.د. محمود احمد خضر المعماري و م.د. عبد الرحمن جدوع سعيد التميمي	٥٥١– ٥٨٤
الحوليات السريانية مصدرا لدراسة تاريخ الموصل في فترة الاحتلال المغولي (تاريخ الزمان) لابن العبري أنموذجا(ت٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م) م.د.هدى ياسين يوسف الدباغ	٥٨٥– ٦١٤
إسهامات علماء حصن كيفا في الحركة العلمية من مطلع القرن السادس حتى أواخر القرن التاسع للهجرة/ الثاني عشر – الخامس عشر للميلاد م.د. نشوان محمد عبدالله م.د. قيس فتحي احمد	٦١٥– ٦٤٠
الأديب عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) دراسة في سيرته العلمية م.د. حنان عبد الخالق علي السبعاوي	٦٤١– ٦٥٨

معوقات المرأة العاملة المتزوجة منذ عام ٢٠٠٣ دراسة ميدانية في معمل الألبسة الجاهزة / ولدي / في مدينة الموصل أ.م.د. جمعة جاسم خلف	٦٥٩– ٦٨٨
الاثار النفسية والاجتماعية للموضة (بحث ميداني في مدينة الموصل) م.ابتهال عبد الجواد كاظم	٦٨٩– ٧١٦
حقوق الانسان لدى ابرز مفكري العقد الاجتماعي دراسة اجتماعية – تحليلية م. ريم أيوب محمد	٧١٧– ٧٥٢
الثقافة الصحية للأسرة وأثرها على عملية التنمية الاجتماعية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. هناء جاسم السبعاوي	٧٥٣– ٧٨٦

انتشار الإسلام في بلاد ماوراء النهر

أ.د. أحمد عبدالعزيز محمود *

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١٢/٧ تأريخ القبول: ٢٠١٨/١/٣

مقدمة

يُعدّ وصول الإسلام وانتشاره في بلاد الشرق، انعطافة تأريخية مهمة لهذه البلاد، وبداية للتوسع الإسلامي والدولة الإسلامية العظمى، وإن الفضل في حقيقة هذا الأمر يعود حقاً إلى سكان هذه البلاد ذوي القلوب المنفتحة أصلاً لهذا الدين الجديد، الذي إعتنقه الكثير منهم طوعاً في بدئ وصوله إليهم، بل كانوا تواقين له قبل وصوله إليهم، وتغلغله لما سمعوا عن سماحته وتسامحه، الأمر الذي أدى إلى إنتشاره في هذه البلاد الواسعة بهذه السرعة الفائقة.

كما أنهم أخلصوا له بعد اعتناقهم له وتمسكوا بمبادئه فيما بعد، بسبب قوة إيمانهم الراسخ به في قلوبهم، على الرغم من بعدهم من مركزه الأصلي، وكونه بغير لغاتهم، فلم يعيروا أهمية لهذه الأمور، ولم يكترثوا بجنسيات قادته الفاتحين وولاته المعينين الذين سادوهم فساروا على نهجهم مطمئنين فرحين بما جاءهم رحمة من رب العالمين.

تمهيد:

من المعروف جلياً أن أول محاولة للمسلمين لفتح بلاد ماوراء النهر كانت سنة(٣٣هـ/٦٥٣م) في خلافة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، ومن البدهي أن المحاولة الأولى كان لها طابع استطلاعي، وكانت في جوهرها تحركات عسكرية، أما اعتناق الاسلام فلم يكن دائماً مرهوناً بالنجاح على ساحات القتال، بيد أن النجاح العسكري كان يلعب بلاشك دوراً بارزاً في نشر الاسلام في بداية الأمر[١].

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين .

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ق٢٧٢/٣؛ الطبري: تاريخ الطبري، ٣١٤/٥-٣١٥؛ الكرديزي: زين الاخبار، ص١٥١.

ويبدو بحسب مزاعم بعض الطاجكيين القدامى أنهم قد دخلوا الاسلام قبل فتح مرو[١] بكثير، وليس من المستبعد أن هؤلاء ربما كانوا من ضمن الجماعة التي اعتنقت الاسلام في شمال شرق الامبراطورية الساسانية عند فتح المدائن[٢] (١٦هـ/٦٣٧م)، ويعتز المسلمون في بلاد ماوراء النهر إلى يومنا هذا باعتناقهم الاسلام[٣].

هذا وان أهالي بلاد ماوراء النهر القدامى أخذوا مع اعتناقهم الاسلام، يشاركون في الغزوات، مواصلين بذلك كفاح آبائهم في نشر الاسلام، كسلمان الفارسي الذي اشتهر بتدبيره العسكري في معركة الخندق (٥هـ/٦٢٧م)[٤]، وتجدر الاشارة هنا إلى أن كلمة خندق[٥] هي كلمة طاجيكية تعني(الحفرة)، وورد في فتوح البلدان أنه عندما قام القائد العسكري الأحنف بن قيس(٦٧هـ/٦٨٦م)[٦] بغزو طخارستان[٧]، ولم يعبر نهر جيحون(Amudarya) سنة (٣٣هـ/٦٥٣م)[٨] ساعده ملك الصغانيان[٩] (Ghaganiyan) في ذلك.

(١) مرو: أشهر مدن خراسان وتعد قصبتها. ياقوت: البلدان، ١١٢/٥.

(٢) المدائن: مدينة بناها انوشروان ابن بن قباذ بينها وبين بغداد ستة فراسخ(٣٦كم)تقريباً. ينظر: ياقوت: البلدان، ٧٤/٥-٧٥.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ق٣/٣٥٦.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٣٣/٢.

(٥) وسميت غزوة الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة لمنع أحزاب الكفر من اجتياحها. ابن هشام: السيرة، ١٦٠/٣.

(٦) الاحنف بن قيس، هو أبو عبر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن مرة.. التميمي المعروف بالأحنف توفي سنة(٦٧هـ/٦٨٦م) ودفن عند قبر زياد. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٩٣/٧؛ ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥٠٢/٢، ٥٠٤؛ لمزيد من التفاصيل ينظر: اليعقوبي: تاريخ، ١١٦/٢؛ الطبري: المصدر السابق، ٣١٢/٥-٣١٤.

(٧) طخارستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان. ينظر ياقوت: المصدر السابق، ٢٣/٤؛ القزويني: آثار، ص٣٠٦، ولمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٨/٥.

(٨) البلاذري: المصدر السابق، ق٤٦٦/٤، ٥٧١-٥٧٢.

(٩) الصغانيان: مدينة تقع في بلاد ماوراء النهر. ياقوت: المصدر السابق، ٣٨٩/٣.

وأشار البلاذري نفسه إلى أن الأحنف كان في غزوه هذا في خمسة آلاف مقاتل من المسلمين، أربعة آلاف من العرب وألف من مسلمي العجم[١] .

وكانت الفتوحات الاسلامية لبلاد ماوراء النهر ذات سمتين منذ بدايتها، فكانت توسعة لأرض الاسلام من جانب، ومن جانب آخر كانت تحمل معها نورالدين المبين، لتبدد الظلام المخيم على قلوب عباد الله في تلك البلاد.

١- فتح بخاري[٢]:

أخذ المسلمون يفتحون البلاد انطلاقاً من قاعدتهم بمروْ مركز خراسان في اتجاه بخارى، ويشير البلاذري إلى أن عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس(ت ٦٠هـ/٦٧٩م) حاول سنة(٣٢هـ/٦٥٢م) أن يغزو بخارى، ولكن حال دون ذلك نهر جيحون[٣]، وظل المسلمون يعالجون المشكلات التي تعوق فتح كامل بلاد طوال مدة عشرين عاماً من بعد فتحهم لمرو لأن مرو مركز خراسان، إلى أن أكملوا سنة (٥٤هـ/٦٧٣م) فعين الخليفة معاوية بن أبي سفيان، عبيدالله بن زياد والياً عليها، وكان عمره وقتئذ (٢٥)سنة، فقام في السنة نفسها بغزو بخارى، وقال البلاذري أن عبيدالله ((قطع النهر في أربعة وعشرين ألفاً فأتى ثيكند(Paykand)[٤] وكانت ملكة خاتون بمدينة بخارى فأرسلت إلى الترك تستمدهم، فجاءها منهم دعم، فلقيهم المسلمون فهزموهم، وحووا عسكرهم، وأقبل المسلمون يخدمون الناس، فبعثت إليهم ملكة خاتون تطلب الصلح والأمان فصالحوها على ألف ألف درهم، ودخلوا المدينة، وفتحوا رامدين وثيكند وبينهما

(١) البلاذري: المصدر السابق، ٣٩٨/٣.

(٢) الكرديزي: المصدر السابق، ص١٥١؛ بخارى: من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها بينها وبين جيحون يومان. ياقوت: المصدر السابق، ٣٥٣/١.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ٤٦٧/٥، ٥٧١؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ١٥١/٢؛ نهر جيحون: نهر يعرف بجريان يخرج من بلاد وفاب من حدود بدخشان. ياقوت: المصدر السابق، ١٩٦/٢.

(٤) ثيكند: مدينة بين خجندة وفاراب. ينظر: ياقوت: المصدر السابق، ٣٤٨/٢، في حين يذكر ابن خلدون باسم بيكنْداد، تاريخ، ١٣٠/٥؛ أبوالفداء: تقويم البلدان، ص٤٨٨-٤٨٩.

فرسخان...))[١]، واشار إلى أن عبيدالله بن زياد قدم البصرة بخلق من أهل بخارى، وأضاف الطبري أن البخاريين الذين قدم بهم عبيدالله إلى البصرة ألفان، كلهم كانوا يجيدون الرمي بالنشاب[٢] .

وقام سعيد بن عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، والي خراسان آنئذ أي سنة(٥٧هـ/٦٧٦م)، بغزو آخر لبخارى الذي انتهى بالمصالحة التي كانت من إحدى شروطها أن تعطيه خاتون ملكة بخارى، اسمها لم يذكر في المصادر ولكن أبابكر محمد بن جعفر النرشخي، يقول: ((عندما توفي بيدون بُخارْ خُداة(Bukorkhudot) أي ملك بخارى[٣]، فلما كان من الغد نقضوا الصلح فاقتتلوا فهزمهم سعيد وحصرهم في مدينتهم، فصالحوه واعطوه رهناً منهم خمسين غلاماً من ابناء عظمائهم، فسار إلى المدينة ففتحها صلحاً ولم يفِ لأهل سمرقند وجاء بالغلمان معه إلى المدينة، وكان ممن قتل معه قثم بن عباس بن عبدالمطلب[٤] .

٢- فتح سمرقند[٥]:

أما سعيد فبعد مصالحته ملكة بخارى، فقد واصل غزوه أنحاء البلاد حتى بلغ سمرقند، حيث واجه مقاومة شديدة من جانب حكامها، وذكر البلاذري أن سعيداً نزل على باب سمرقند وحلف أن لايبرح أو يفتحها ويرمي قُهَنْدِزَها[٦]، فقاتل أهلها ثلاثة أيام، وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث ففقئت عينه وعين المهلب بن أبي صفرة(ت ٨٣هـ/٧٠٢م)[٧]،

(١) البلاذري: المصدر السابق، ٤٠١/٥، ٥٧٧؛ اليعقوبي: تاريخ، ١٧٦/٢.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ٢٩٨/٥.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٢؛ الكرديزي: المصدر السابق، ص١٦٨.

(٤) البلاذري: المصدر السابق، ٥٧٨/٥-٥٧٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥١٣/٣؛ ابن خلدون: تاريخ، ١٢٢/٥-١٢٣.

(٥) سمرقند: بلد معروف مشهور، من أبنية ذي القرنين بماوراء النهر. ينظر: ياقوت: المصدر السابق، ٣٤٦/٣؛ القزويني: آثار، ص٢٨٩، ٤٩١.

(٦) قهندزها: وهي مدينة مشهورة في غربي نهر الشاش. ينظر: ياقوت: المصدر السابق، ٣٤٧/٢.

(٧) المهلّبُ بن أبي صفرة، وسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عربي..بن الأزد توفي سنة(٨٣هـ/٧٠٢م). ابن سعد: الطبقات، ٢٠٢/٧؛ ينظر: ابن خلكان: وفيات، ٢٧٢/١، ٣٣/٢-٣٤، ٣٦.

ثم لزم العدو المدينة وقد فشت فيهم الجراح، وأتاه رجل فدله على قصر فيه أبناء ملوكهم وعظمائهم فسار إليهم وحصرهم، فلما خاف أهل المدينة أن يفتح القصر عنوة ويقتل من فيه، طلبوا الصلح فصالحهم على سبعمائة ألف درهم، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم، وعلى أن يدخل المدينة ومتى شاء، ويخرج من الباب الآخر، فأعطوه من أبناء ملوكهم خمسة عشر، ويقال أربعين، ويقال ثمانين، ورمى القُهَنْدِز فثبت الحجر في كوته ثم انصرف، وأما الرهائن فهم عندما ورد بهم سعيد المدينة فدفع ثيابهم ومناطقهم إلى مواليه، ألبسهم جباب الصوف والزمهم السقي والسواني والعمل، ((فدخلوا على سعيد في مجلسه ففتكوا به ثم قتلوا أنفسهم)) على مايراه البلاذري[١] .

وأشارت المصادر إلى أن قثم بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي، ابن عم سيدنا محمد(ﷺ)، انضم إلى سعيد في غزوة هذا سمرقند، ويرى البلاذري، ويشاركه ابن الاثير، أن قثم بن العباس استشهد بسمرقند، ولكن الأول لايستبعد أنه ربما توفي ولم يستشهد فيها[٢]، وهناك رأي آخر نصادفه عند أحمد بن واضح اليعقوبي، ادعى فيه أن قثم لم يأتِ إلى سمرقند، بل إنه أتى مرو فنزل بها حتى وافته المنية هناك[٣]، وهناك دلائل أخرى تدل على أن قثم إما توفي وإما استشهد بسمرقند ودفن بها، وهناك روايات رائجة في أوساط السكان المحليين من أبناء سمرقند، تفيد أن قثم لم يستشهد ولم يتوفّ، إلاّ أنه كان لاجئاً من مطاردة الكفار، واختفى في جوف صخرة انشقت بأمره تعالى، وهم لايسمونه باسمه بل يسمونه باسم مستعار وهو (شاه زِنْده)(Shahe Zinda–الملك أو السيد الحي) هذه رواية اسطورية.

(١) البلاذري: المصدر السابق، ٥/٥٧٨–٥٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ٥/٥٧٨–٥٨٠.

(٣) اليعقوبي: المصدر السابق، ٢/١١٦.

وفي أنحاء العالم الاسلامي نجد كثيراً من الروايات أمثال هذه الرواية، وهناك على سبيل المثال في بلادنا مرقدان للسيد علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، أحدهما بمزار شريف في ضواحي بلخ[١] القديمة، وثانيهما في فرغانة[٢] المعروفة باسم(شاه مردان)(Shahe Mardan–سيد الرجل)، أما فيما يخص قثم بن العباس ومرقده بسمرقند، نرى أنه لايخالف الواقع، ماعدا الخبر المتعلق بالصخرة وانشقاقها واختفائه فيها، ولتأكيد هذه الملاحظة المهمة، حيث يورد القاضي بن السمعاني المروزي، أحد كبار الثقات في علم الرجال(علماء الحديث) المتوفي سنة(٥٦٢هـ/١١٦٦م)، وأن أحد الكشانيين كان يلقي محاضرات، أو بتعبيره، يملي دروساً في مدرسة قثم(رضي الله عنه) بسمرقند[٣]، وكانت هذه المدرسة من الأبنية التي بناها السمرقنديون على مدفنه، وسرعان ماتحولت منطقة مدفن قثم بن العباس إلى مقبرة كبيرة لأهل سمرقند يدفنون موتاهم بقرب مدفنه، تبركاً بروحه وأرواح آله، وقبره أصبح مزاراً فيما بعد وهو يزار إلى يومنا هذا، وقال ابن بطوطة أن مزاره كان عندما زاره خارج المدينة، وان أهلها عادة يزورونه ليلتي الاثنين والجمعة اسبوعياً[٤].

ولعب سلم بن زياد بن أبي سفيان، والي خراسان أيام يزيد بن معاوية، (٦٠–٦٣هـ/٦٨٠–٦٨٣م)، دوراً مهماً في نشر الاسلام فيما وراء النهر، فقد قطع جيحون سنة(٦٢هـ/٦٨١م)، وبعد أن صالح حكام سمرقند وخوارزم، أرسل جيشاً إلى خُجَنْدة لفتحها، ولكن هذا الجيش رجع إلى قاعدته مهزوماً، وكان سلم بن زياد أول قائد مسلم

(١) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان ومن أجل مدنها. ياقوت: المصدر السابق، ٤٧٩/١.

(٢) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بماوراء النهر متاخمة لبلاد تركستان بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً(٣٠٠كم)تقريباً. ياقوت: المصدر السابق، ٢٥٣/٤؛ لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلدون: تاريخ، ١٣٠/٥.

(٣) السمعاني: هو أبوسعد عبدالكريم بن محمد السمعاني التميمي المزوري(ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م): الانساب، ص٤٨٣؛ ينظر: السبكي: طبقات السبكي، ٢٥٩/٤؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص١٣١٦؛ العبر في خبر من غبر، ١٧٨/٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٥٦٣/٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٢١٥/٤.

(٤) بارتولد: المؤلفات، ١٤٢/١–١٤٣.

قطع جيحون ومعه أمرأته أم محمد الثقفية، بنت عدالله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفي[١] .

وبعد وفاة يزيد بن معاوية في صفر سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) بموضع يقال حواريّن وحمل إلى دمشق ودفن بها، جرى انتقال السلطة إلى مروان بن الحكم(٦٣-٦٤هـ/٦٨٢-٦٨٣م) ثم تولى عبدالملك بن مروان(٦٦-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م)، شهدت خراسان فتنة بين العرب، وتم عزل سلم بن زياد من ولاية خراسان سنة(٦٤هـ/٦٨٣م)، وعين مكانه عبدالله بن خازم السلمي الذي حكم عشر سنوات تقريباً بصورة شبه مستقلة، وكان ابن حازم يضرب النقود باسمه بما فيها النقود الذهبية، وأمر الخليفة عبدالملك بن مروان بقتله نظراً لعدم إطاعته أوامره[٢] .

وأما ابنه موسى فكان لايطيع أحداً، اعتراضاً على مافعله الخليفة بأبيه، وكاد أن يؤسس إمارة شبه مستقلة في ترمذ على الساحل الأيمن لنهر جيحون، وهي المدينة التي ولد بها الإمام أبوعيسى الترمذي فيما بعد، إلى أن أطاح به وبإمارته قتيبة بن مسلم الباهلي قتل سنة(٩٦هـ/٧١٤م)، وكان رحمه الله شديداً على أعدائه، وقال البلاذري، إن أهل خراسان يقولون: ((مارأينا مثل موسى قاتل مع أبيه سنتين لم يفل، ثم أتى الترمذ فغلب عليها وهو في عدّة يسيرة، واخرج ملكها عنها، ثم قاتل الترك والعجم فهزمهم وأوقع بهم)) [٣].

(١) البلاذري: المصدر السابق، ٥/٥٨١؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ٢/١٧٦؛ الكرديزي: المصدر السابق، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) البلاذري: المصدر السابق، ٥/٥٨٢-٥٨٣؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ٢/١٧٦.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ٥/٥٨٩-٥٩٠؛ ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن تقع على نهر جيحون من الجانب الشرقي متصل العمل بالصغانيان. ياقوت: المصدر السابق، ٢/٤٤٠.

٤- فتح الختل ومدن أخرى[١]:

وبعد التخلص من ابن خازم، عين الخليفة عبدُالملك، أمية بن عبدالله بن أبي العاص بن عبد شمس القرشي والياً على خراسان عام (٧٢هـ/٦٩١م)، ولم يقم أمية بغزوات تذكر في بلاد ماوراء النهر، ومع ذلك أنبِّه إلى ماذكره البلاذري أنه جدد سنة(٧٦هـ/٦٩٥م) غزو مدينة الختل بعد أن نقضوا المصالحة التي كانت بين المسلمين وملك الخُتّل(Khuttal)، وظن البلاذري أن هذه المصالحة كان قد عقدها سعيد بن عثمان، يمكننا القول إن أولى المحاولات لنشر الاسلام في المنطقة كانت في أواخر السبعينات في القرن الأول الهجري السابع الميلادي[٢].

وفي سنة(٧٩هـ/٦٩٨م) كان المهلب بن أبي صفرة والياً على خراسان، وقرر أن يغزو الخُتل فغزاها، وتم هذا الغزو بالمصالحة أيضاً، وأفاد البلاذري أن المهلب قام كذلك بغزو خجنده، الأمر الذي يبدو لنا مستبعداً[٣]، أما قول الطبري في أن المهلب كان مسيطراً على الوضع في أخرون، فهذا في رأينا لايخالف الحقيقة[٤]، وتجدر الإشارة إلى أن هذه السيطرة للمسلمين كانت سيطرة مؤقتة، ونجد في المصادر أن المفضل بن المهلب وجد نفسه مضطراً ليغزو أخرون[٥] (Akharun) وشومان(Shuman)[٦] التي كانت تقع بجوارها، مجدداً السيطرة عليها سنة(٨٥هـ/٧٠٤م)، عندما عينه الخليفة عبدالملك بن مروان والياً على خراسان، مدة تسعة أشهر[٧].

(١) الخُتل: كورة واسعة كثيرة المدن خلف جيحون ماوراء النهر. ينظر: ياقوت: المصدر السابق، ٣٤٦/٢؛ لمزيد ينظر: ابن خلدون: تاريخ، ١٢٩/٥.

(٢) البلاذري: المصدر السابق، ٥٨٨/٥-٥٩٠؛ الكرديزي: المصدر السابق، ص١٧٠.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ٥٩٠/٥.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ٣٣٢/٦.

(٥) أخرون: قصبة ناحية دهستان بين جرجان وخوارزم. ياقوت: المصدر السابق، ٥١/١.

(٦) شومان: بلد بالصغانيان من وراء نهر جيحون. ياقوت: نفسه، ٣٧٣/٣؛ ينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٤.

(٧) اليعقوبي: المصدر السابق، ١٩٣/٢.

وفي السنة الأخيرة في خلافة عبدالملك بن مروان، رشح الحجاج بن يوسف الثقفي(ت ٩٥هـ/٧١٣م) ثاني رجل في السياسة فعلاً في عهد المروانيين، قتيبة بن مسلم الباهلي والياً على خراسان، فغير قتيبة سياسة الفتوحات في بلاد ماوراء النهر محولاً الثقل فيها من اكتساب الغنائم إلى نشر الاسلام وقيمه السماوية[١] .

ووصل قتيبة خراسان سنة (٨٥هـ/٧٠٤م)، فبدأ بعد عام من وصوله، غزواته في بلاد ماورا النهر، وحول معظمها إلى دار الاسلام في أواخر أيام ولايته.

فقال المختار بن كعب الجعفي في قتيبة:

دّوْخَ السُّغْدَ بالقَبَائِلِ حتى ترَكَ السُّغْدَ بالعَرَاءِ قعودَا[٢]

وكانت المنطقة أيام ولاية قتيبة، تدخل في دويلات شبه مستقلة كالخُتل(Khhuttal) والصغانيان(Chaganiyan) وشومان(Shuman) وأخرون(Akhrun) وغيرها، وأما الختل فمن جنوبها(جانب بلخ) كان يحيطها نهر جيحون(Amudarya) ومن شرقها نهر وخش(Vakhsh) [٣] اللذان كانا يشكلان معاً حاجزاً مائياً صعب العبور، اما الصغانيان فإنها استسلمت سنة(٨٦هـ/٧٠٥م) لقتيبة طوعاً، وقال ابن الاثير شارحاً سبب ذلك الأمر: ((فلما كان قتيبة بالطالقان(Talyqan) [٤] أتاه دهاقين بلخ وساروا معه، فقطع النهر(جيحون) فتلقاه ملك صغانيان بيش الأعور بهدايا ومفاتيح من ذهب ودعاه إلى بلاده...، فمضى مع بيش الأعور فسلم البلاد إليه وكان ملك أخرون وشومان قد اساء جوار بيش الأعور))[٥]، وغزاه وضيق عليه فسار قتيبة سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) إلى أخرون وشومان وهما من طخارستان، فجاءه غيسلشتان فصالحه على فدية أداها إليه فقبلها

(١) نفسه، ١٩٣/٢؛ ينظر: ابن خلكان: وفيات الاعيان، ٢١٠/٢.

(٢) البلاذري: المصدر السابق، ٥٧٩/٥.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ٦٠٢/٥؛ نهروخش: بلدة من نواحي بلخ من ختلاث على نهر جيحون. ينظر: ياقوت: المصدر السابق، ٣٦٤/٥.

(٤) طالقان: مدينة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ أكبر مدينة بطخارستان. ياقوت: المصدر السابق، ٦/٤؛ القزويني: آثار، ص٤٠٢؛ ابوالفداء: المصدر السابق، ص٤٧٢-٤٧٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ٥٢٤/٤.

ورضي، وفي سنة(٨٦هـ/٧٠٥م) لم يتيسر لقتيبة فتح شومان وأخرون، فقد فتحهما سنة(٩٢هـ/٧١٠م)، ونجد في تاريخ للطبري روايتين في فتح شومان، جاء في إحداهما: ((ثم أتى قتيبة شومان، وقد تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق ورمى حصنه فهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه ورأى مانزل به جمع ماكان له من مال وجوهر فرمى به في عين في وسط القلعة لايدرك قعرها، وأخذ قتيبة القلعة عنوة)) [١]، ومازالت اثار هذه القلعة شاخصة إلى يومنا هذا على بعد بضعة كيلومترات من دوشنبه عاصمة طاجيكستان الجمهورية في وقتنا الحاضر [٢] .

٥- فتح كاشان[٣] واورشت[٤] وفرغانة[٥]:

ويمكننا أن نقول إن الاسلام انتشر في جنوب المنطقة في ولاية قتيبة، في جزء منها يعرف الآن بوادي الحصار، أما بقية اجزائه فبقيت خارج سيطرة للمسلمين، ومن المواضع الشمالية للمنطقة، ظن ابن الأثير ان صالحاً أخا قتيبة فتح سنة(٨٦هـ/٧٠٥م)، كاشان(Koshon) وأورشْت(Urasht) وأخشيكتْ(Akshekat) [٦] مدينة فرغانة القديمة، واستند في هذه على البلاذري[٧]، غير ان الطبري لم يذكر غزو صالح فرغانة ولافتح مدنها الثلاث سنة(٨٦هـ/٧٠٥م)، ولكنه أشار إلى أن قتيبة نفسه قام بغزو فرغانة

(١) الطبري: المصدر السابق، ٥٩/٨-٦٠.

(٢) كاشان(كاسان): مدينة بماوراء النهر على بابها وادي أخشيكت. ينظر: ياقوت: المصدر السابق، ٤٣٠/٤؛ ابوالفداء: المصدر السابق، ص٥٠٠-٥٠١.

(٣) اورشت: مدينة تقع ماوراء النهر. ينظر البلاذري، ٥٩٠/٤.

(٤) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بماوراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. ياقوت: المصدر السابق، ٢٥٣/٤؛ ابو الفداء: المصدر السابق، ص٥٠٢-٥٠٣؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٢٤.

(٥) أخسيكت: وردت عند البلاذري خشكت وعند البلخي اخسكت. البلاذري: فتوح، ق٥/٥٩٠، ٥٩٢؛ ابوالفداء: تقويم، ص٥٠١.

(٦) البلاذري: المصدر السابق، ٥٩٠/٥؛ ينظر: ابن خلدون: تاريخ، ١٣٠/٥.

(٧) خجندة: وهي بلدة مشهورة بماوراء النهر على شاطيء نهر سيحون. ياقوت: المصدر السابق، ٣٤٧/٢؛ القزويني: اثار، ص٥٥٤، ٥٥٧؛ ابوالفداء: المصدر السابق، ص٤٩٧-٤٩٨؛ في حين يذكرها ابن خلدون باسم خَجَنْدَة: تاريخ ابن خلدون، ١٣٩/٥.

سنة(٩٦هـ/٧١٤م)، فوصل مدينتيها خجندة[١] وكاشان، إلا أنه لم يفتحهما[٢]، ولم تشر المصادر إلى غزو قتيبة أسروشنة(Usru Shana) [٣] أيضاً.

وانتشر دين الاسلام المبين، في أواخر ولاية قتيبة في خراسان، بخارى وسمرقند أمهات مدن ماوراء النهر، فأمر قتيبة بعد فتحه بخارى سنة(٩٥هـ/٧١٣م) ببناء أول مسجد جامع فيها، وهو أول جامع تم بناؤه في هذه البلاد[٤]، ونجد وصف هذا المسجد وكيفية شيوع الاسلام في بخارى عند النرشخي الذي وضع كتابه(تاريخ بخارى) سنة(٣٣٢هـ/٩٤٣م) بالعربية، إلا أن الأصل العربي لم يصل إلينا، بل الذي وصل هو ترجمته إلى الفارسية، التي قام بها أبونصر أحمد بن محمد القياوي الفرغاني المتوفى سنة(٥٢٢هـ/١١٢٨م)، ويقول صاحب(تاريخ بخارى)، ((وبنى قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان أواخر حكم عبدالملك بن مروان(ت ٨٦هـ/٧٠٥م) وبداية حكم خلافة الوليد بن عبدالملك(ت ٩٦هـ/٧١٤م) من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي(ت ٩٥/٧١٣م) مسجداً جامعاً داخل قلعة بخارى سنة(٩٤هـ/٧١٢م)، وكان ذلك الموضع موضع معبد للأصنام، فأمر أهل بخارى أن يحضروا كل يوم جمعة في هذا الموضع[٥]، وكان مناد ينادي الذي يحضر صلاة الجمعة أعطيه درهمين، وكان أهل بخارى في أوائل الإسلام يتلون القرآن في الصلاة بالفارسية نظراً لعدم تمكنهم من تعلمُّ العربية...)) [٦]، وأضاف النرشخي(Narshakhi) في موضع آخر: ((أن الفقراء من أهلها كانوا يرغبون في الصلاة من أجل الدرهمين، أما الأثرياء، فلم تكن لديهم الرغبة في الصلاة)) [٧].

---

(١) الطبري: المصدر السابق، ٦/٤٨٣-٤٨٤.

(٢) أُسروشنة: وهي مدينة بماوراء النهر. ياقوت: المصدر السابق، ١/١٧٧؛ ابوالفداء: المصدر السابق، ص٤٩٦-٤٩٧.

(٣) الطبري: المصدر السابق، ٧/٤٣-٤٤.

(٤) نفسه، ٨/٩٦؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص٤٣؛ ابن خلكان: وفيات، ٤/٨٦، ٨٨.

(٥) نفسه، ص٤٤.

(٦) نفسه، ص٤٤.

(٧) السغد: قرية من نواحي بين بخارى وسمرقند. ياقوت: المصدر السابق، ٣/٣٤٦.

تدل هذه الرواية، وغيرها من الدلائل، أن قتيبة قد استخدم في نشر الاسلام في بلاد ماوراء النهر كل الوسائل والحوافز، وكان عادة عندما يفتح المدن يبني المساجد أو يحول أحد الأبنية فيها إلى مسجد، ونقرأ في الطبري فيما يخص فتحه سمرقند مايأتي: ((فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة، من كل خمس برجلين، فقبضوا ماصالحوهم عليه، فقال قتيبة: الآن ذلّوا حين صار إخوانهم وأولادهم في أيديكم، ثم أخلوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً، ودخلها في أربعة آلاف انتخبهم، فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب ثم أرسل إلى أهل السغد[١]: من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه، فإني لست خارجاً منها وانما صنعت هذا لكم، ولست آخذاً منكم أكثر مما صالحتكم عليه، غير أن الجند يقيمون فيها))[٢] .

وكان قتيبة يعالج مشكلة إسكان العرب في المدن بطريقة تقسيم منازل أهلها قسمين قسماً لهم وقسماً للفاتحين، هكذا فعل في بخارى وسمرقند، كما فعل قبله فاتح مرو حاتم بن نعمان الباهلي بأمر من عبدالله بن عامر بن كريز، ويشير البلاذري إلى أن أحد شروط المصالحة على أهل مرو كان إجبارهم على أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم[٣] .

وكان قتيبة يتخذ بعض الاجراءات العسكرية يخشى على المسلمين من دخول المشركين عليهم، قال الطبري: ((عندما أرتحل قتيبة راجعاً إلى مرو، أمر أخاه عبدالله الذي استخلفه على سمرقند بعد فتحها: لاتَدَعنَّ مشركاً يدخل بابا من أبواب سمرقند الامختوم اليد، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله، وإن وجدت معه حديدة وسكيناً فاقتله، وان أغلقت الباب فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله))[٤] .

وهذه التدابير الصارمة كانت تسهل نشر الاسلام، غير أنها لم تكن وحيدة في نشره من قبل قتيبة، وكان الأخير يقدم كل التسهيلات الممكنة للذين اعتنقوا الاسلام، ويبدو لنا

(١) الطبري: المصدر السابق، ٤٧٥/٦.
(٢) البلاذري: المصدر السابق، ٣٩٦/٤٨.
(٣) الطبري: المصدر السابق، ٤٧٥/٦.
(٤) كاشغر: من قرى نسف بماوراء النهر. ياقوت: المصدر السابق، ٤٢٧/٤؛ ينظر اليعقوبي: تاريخ العقوبي، ٢٠٣/٢؛ ابن خلكان: وفيات، ٥٣/٢.

أن موضوع الدرهمين الذي أورده النرشخي كان في وقته مساعدة للمسلمين الجدد، أما قراءة القرآن في الصلاة بالفارسية، يعني ترجمة معانيه، فكان قراراً جريئاً ربما إتخذه قتيبة بنفسه تسهيلاً للبخاريين في أوائل إسلامهم.

وقام قتيبة بن مسلم بالغزو أخيراً، فالأوضاع السياسية كانت قد تغيرت في الشام وفي العراق، حيث أصبح سليمان بن عبدالملك خليفة، خلفاً لأخيه الوليد، وتوفي الحجاج سنة(٩٥هـ/٧١٣م)، فقام قتيبة بغزو كاشغر[١] وبعض المناطق الأخرى التي تدخل الآن في جمهورية الصين الشعبية اليوم، وكان طريقه إلى كاشغر يمر بشعب عصام، وهو موضع بإسْفرة(Isfara) احدى النواحي العامرة في جمهورية طاجيكستان حالياً، وكان ذلك في آخر أيام الوليد(٩٥هـ/٧١٥م) [٢] .

الأوضاع السياسية بعد الفتوحات:

وبعد تغير الأوضاع السياسية بدمشق، أخذت تنتشر الفتنة بين أنفسهم في خراسان وماوراء النهر، وقال أحد شهود العيان واصفاً الوضع، هؤلاء يقاتلون على غير دين، وأضاف؛ فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً، فقتلوا قتيبة بفرغانة سنة(٩٧هـ/٧١٥م)، وبذلك قتلوا الأمل في انتشار الاسلام شرقاً في اتجاه الصين[٣] .

واشار ابن الأثير إلى أن بما وراء النهر وخراسان يومئذٍ من أهل البصرة والعيالة من المقاتلة تسعة آلاف، ومن بكر سبعة آلاف، ومن تميم عشرة آلاف، وعبدالقيس أربعة آلاف، والأزد عشر آلاف، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف[٤].

وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) تغي رت سياسة نشر الإسلام في بلاد ماوراء النهر قليلاً، وأخذت تميل إلى الطابع السلمي أكثر، ومن

(١) البلاذري: المصدر السابق، ٥/٥٩٤.
(٢) نفسه، ٤/٥٩٧.
(٣) ابن الاثير: المصدر السابق، ٥/٤٨٠.
(٤) البلاذري: المصدر السابق، ٥/٥٩٩؛ الكرديزي: المصدر السابق، ص١٧٥.

المعروف أن عمر عزل الجراح بن عبدالله الحكمي عن ولاية خراسان، لأنه كان يعتقد أنه لايصلح أهل خراسان إلاّ الشدة، فأنكر عليه عمر ذلك وعزله[١].

وتشهد دراسة الروايات الواردة في المصادر، أن بلاد ماوراء النهر، بغض النظر عن فتح مدنها الرئيسة كبخارى وسمرقند، لم تكن خاضعة للأمويين بكاملها، فقد وقعت معارك شديدة، أيام سعيد بن عبدالعزيز[٢]، جرت في خجندة، وعلى مانظن في ضواحي مدينة بُنْجكث(Bunjikat) الواقعة على نهر زرفشان(Zarafshan) وهو نهر سمرقند في المصادر العربية[٣]، وفي أواخر أيام خلافة يزيد بن عبدالملك(١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) تم فتح مدينة خُجنَدْ(الخجندة في المصادر العربية) ومدينة بنجكث آخر معاقل تمرد المسلمين الساكنين في الصغد فاوقع بهم، ((ثم سفرت بينهم السفراء فاصطلحوا)) [٤].

ويمكننا أن نقول إنه في أوائل تولي هشام بن عبدالملك(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) الخلافة بدمشق، لم يكن الاسلام منتشراً في حدود ولاية الاسر وشنة(Usru Shana) أي جمهورية طاجيكستان الحالية، الختل(Khuttal) والمناطق الواقعة في أعالي الجبال[٥].

وأما أسروشنة، فأشار الطبري إلى أنها لم تكن خاضعة للمسلمين سنة(١٢٠هـ/٧٣٨م). ويبدو أن الغزو الذي قام به مسلم بن سعيد والي خراسان سنة(١٠٦هـ/٧٢٤م)، كان من نتائجه فتح قلعة واحدة في أسروشنة فقط. ولكن هذا الأمر لايدل على أن الأسرة الأفيشينية(Afsheen) الحاكمة هناك كانت تحارب المسلمين دائماً، لذلك نرى حاكم أسروشنة سنة(١٢٢هـ/٧٣٩م) في تحالف مع نصر بن سيار والي خراسان في احدى معاركه ضد الأتراك، ومحاولات نصر بن سيار نفسه الرامية إلى فتح

(١) هو سعيد بن عبدالعزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولي خراسان، وسعيد هذا يلقب حذيفة. البلاذري: نفسه، ٦٠٠/٥.

(٢) البلاذري: نفسه، ٦٠٠/٥.

(٣) نفسه، ٦٠٠/٥.

(٤) نفسه، ٦٠١/٥ .

(٥) نفسه، ٦٠٣/٥؛ الطبري: المصدر السابق، ٢٦٨/٨.

اسروشنة كانت تنتهي عادة بالمصالحة ونجد عند الطبري اشارة إلى أن قسم من أهل اسر وشنة كانوا في سنة(١٢٢هـ/٧٣٩م) يعبدون الأصنام ويؤدون الجزية عن رؤسهم[١]، وفي حوادث سنة(١٧٨هـ/٧٩٥م)، نرى ان ملك أسروشنة راغباً في (التعايش السلمي) مع الفضل بن يحيى البرمكي والي خراسان، أما في حوادث سنة(٢٠٦هـ/٨٢١م) فنجد أسروشنة غير خاضعة للطاهريين الأمر الذي حث طلحة بن طاهر سنة(٢١٧هـ/٨٣٢م) وأحمد بن أبي خالد، الذي كان يقوم مقامهُ طلحة بخراسان، بأمر من الخليفة المأمون(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)، أن يطيح بهذه الدويلة ويخضعها للمسلمين، وقال الطبري: ((وشخص أحمد بن أبي خالد الكاتب إلى ماوراء النهر فافتتح اسر وشنة وأسركاوس(Kovus) بن خاراخره(Kharakara) وابنه الفضل، وبعث بهما إلى المأمون))، وقدر طلحة قائد هذا الفتح تقديراً عالياً: ((ووهب لابن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألفي ألف، ووهب لابراهيم بن العباس كاتب أحمد بن ابي خالد خمسمائة ألف درهم))، على مايذكره الطبري[٢] .

وأما الختل التي كانت تقع بين نهر وخَشْ من جانب ونهر جيحون من جانب آخر، فحاول أن يغزوها بصورة جادة أسد بن عبدالله القسري عندما عين للمرة الأولى والياً على خراسان سنة(١٠٥هـ/٧٢٣م)، إلا أن غزوته التي قام بها سنة(١٠٨هـ/٧٢٦م) باءت بالفشل، وكانت موقعة(مورد) استهزاء من قبل الخراسانيين، حين قالوا فيها شعراً يهجون فيه أسداً، وهذا الشعر الذي أورده الطبري[٣] ويُعّد أول شعر قيل باللغة الفارسية الحديثة، ترجم إلى العربية[٤] :

غَزَوْتَ بِنا من خشيةِ العَزْلِ عاصِياً

(١) طلحة بن طاهر: هو ابن عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي. الطبري: المصدر السابق، ١٨٥/٨، ١٨٦، ٢٦٨؛ ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٨٣/٢-٨٤.

(٢) البلاذري: المصدر السابق، ٦٠٢/٥؛ الطبري: المصدر السابق، ٥٩٥/٨ مايليها؛ الكرديزي: المصدر السابق، ص١٥٢.

(٣) البلاذري: المصدر السابق، ٦٠١/٥-٦٠٢؛ الطبري: المصدر السابق، ٥٩٥/٨؛ ينظر: الكردزي: المصدر السابق، ص١٧٦.

(٤) البلاذري: المصدر السابق، ٦٠١/٥-٦٠٢.

فلمْ تنُجُ مِنْ دُنيَا مُعَنٍّ غُرورُها

وغزا الخُتل وافتتحها أسد بن عبدالله القسري نفسه عندما عين ثانية والياً على خراسان سنة(١٢٠هـ/٧٣٧م) [١] .

وبهذه الطريقة أصبحت بلاد ماوراء النهر، بلاداً مسلمة ماعدا بعض النواحي الواقعة في أعالي الجبال، وقبيل سقوط الخلافة الأموية تحولت بلاد ماوراء النهر إلى إحدى المناطق المهمة في دار الاسلام، وأخذ يعلب دوراً جاداً وحاسماً في الحياة السياسية للخلافة، ويمكننا أن نشير هنا إلى حركة أبي مسلم الخراساني[٢] فقط، والتي أطاحت في نهاية الأمر بالحكم الأموي وساعدت على تولي العباسيين الخلافة.

وأما اسلام أهل ماوراء النهر، فلانجد له وصفاً أحسن مما قاله المقدسي، أعظم الجغرافيين على حد تعبير المستشرق الألماني شبرينجر (Springer) قال المقدسي: ((اعلم أن هذا الجانب (جانب ماوراء النهر) أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيراً وفقهاً وعمارة ورغبة في العلم واستقامة في الدين، وأدوم جهاداً وأسلم صدوراً وعلى الجملة، الاسلام به طري والسلطان قوي، والعدل ظاهر والفقيه ماهر... ومنابره أكثر من أن توصف)) [٣].

ويعود الفضل في نشر الاسلام في وراء النهر بصورة عامة إلى ولاة خراسان، الذين كانوا يدبرون أمور هذه المنطقة من قاعدتهم بمرو، وعليه نرى، سعياً لتكميل الصورة، أن نورد هنا قائمة باسمائهم كما جاءت عند اليعقوبي: ((أول من دخل خراسان عبدالله بن عامر بن طريز...كتب إليه عثمان بن عفان(رضي الله عنه) في سنة ثلاثين للهجرة(٣٠هـ/٦٥٠م) يأمره بالنفوذ إلى خراسان... فأفتتح عبدالله بن عامر عدة كور من خراسان في سنة(٣١هـ/٦٥١م). ولما قتل علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) سنة

(١)ابو مسلم الخراساني مملوكاً لعيسى ومعقل ابني ادريس ابن عيسى العجيليين وكان مسكنهما بماه البصرة ممايلي أصبهان؛ ابوحنيفة الدينوري: الاخبار الطوال، ص٢٨٩؛ اليعقوبي: تاريخ، ٢/٢٥٦-٢٥٧؛ المسعودي: مروج الذهب، ٣/٢٥٤؛ ابن عبدربه: العقد الفريد، ١/١٥٨.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٦١.

(٣) اليعقوبي: المصدر السابق، ٢/١٥٦؛ ينظر: البلاذري: المصدر السابق، ٥/٥٦٧، ٥٧٦.

(٤٠هـ/٦٦١م) ولي معاوية عبدالله بن عامر خراسان، فوجه إليها ابن عامر عبدالله بن حازم السلمي وعبدالرحمن بن سمرة فسارا جميعاً، إلى بلخ حتى افتتحاها، ثم انصرف عبدالرحمن بن سمرة ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف(ت ٥٠هـ/٦٧٠م) فسلم خراسان إلى عبدالله بن الحكم بن عمرو الغفاري...أميراً فخرج إلى خراسان سنة(٣٤هـ/٦٥٤م)... ومات الحكم بخراسان، الربيع بن زياد... الحارثي أميراً على خراسان... فولى معاوية خالد بن معمر السدوسي خراسان فسار يديرها... فمات... فولى زياد خراسان عبدالله بن ربيع مكان أبيه، ثم عزله وولى عبدالرحمن بن سمرة... ثم توفي زياد بخراسان فأقر معاوية عبدالرحمن على سجستان وولى عبيدالله بن زياد خراسان... وأقام عبيدالله بن زياد بخراسان سنتين، ثم انصرف إلى معاوية واستخلف على خراسان عبدالرحمن بن زياد سنة(٥٥هـ/٦٧٤م) فأقام أربعة أشهر، فلم يحمد فعزله، وولى معاوية سعيد بن عثمان، ثم عزله معاوية وولى أسلم بن زرعة خراسان مكانه، وولى عبيدالله بن زياد أخاه عباد بن زياد خراسان.. ثم ولى عبدالرحمن بن زياد خراسان.. ثم ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان سنة (٥٨هـ/٦٧٧م)، وغزا سلم خوارزم(Khorazm)، فانصرف سلم واستخلف عرفجة بن الورد، وسار عبدالله بن حازم السلمي مع سلم متبعاً له، فتحاربوا بالسهام فأصاب عرفجة سهم فمات، وأقام عبدالله بن خازم بخراسان، فوثب عليه أهل خراسان فقتلوه ثم ولى معاوية خليد بن عبدالله الحنفي، فكان أخر ولاته على خراسان، ولما استقامت الأمور لعبدالملك بن مروان ولى خراسان أمية بن عبدالله... ولم يزل أمية على خراسان حتى ولى الحجاج العراق سنة(٧٤هـ/٦٩٣م)، فلما ولى الحجاج كتب إلى عبدالملك يخبره أن أمر خراسان قد اضطرب فرد إليه الأمر، فولى المهلّب بن ابي صفرة خراسان سنة(٨٣هـ/٧٠٢م)، ثم مات المهلب بخراسان وقد عهد إلى ابنه يزيد بن المهلب، فأقام مدة ثم عزل الحجاج يزيد بن المهلب وولى المفضل بن المهلب خراسان فلم يزل بخراسان حتى وثب الحجاج بيزيد بن المهلب وحبسه، ولما وثب الحجاج بيزيد بن المهلب كتب إلى قتيبة بن مسلم الباهلي، وكان عامله بالري بولاية خراسان... فوثب عليه

وكيع بن أبي سود التميمي فقتله سنة (٧٢هـ/٦٩١م)، وأقام وكيع بخراسان وهو لايشك أن سليمان يوليه خراسان، فلم يفعل، وولى سليمان يزيد بن المهلب خراسان مع العراق... [١].

وقد خصص اليعقوبي فصلاً في كتابه الوجيز لولاة خراسان، نظراً لما لهذا الموضوع من أهمية، ونشير معلومات اليعقوبي إلى ارتفاع دور خراسان وماوراء النهر في أمور الخلافة الاسلامية سنة بعد سنة على التوالي، إلى أن يصل ذروته في أواخر العهد الأموي، فقد بدأ أولاً بحركة أبي مسلم الخراساني، ثم عهد الخليفة المأمون الذي بدأ حكمه بمرو ومكث فيها وفي خراسان طوال السنوات الستة محولاً اياها إلى مركز سياسي للعالم الاسلامي، إلى أن قدم بغداد سنة(٢٠٤هـ/٨٢٠م) [٢].

ونلاحظ أيضاً في معلومات اليعقوبي ان اسراً معينة حاولت أن تشكل من الولاية شيئاً يشبه الأسرة المالكة، وذلك بتوريث الولاية، إلى أن انتهى الأمر إلى آل طاهر سنة(٢٠٥-٢٥٩هـ/٨٢١-٨٧٣م) الذين أصبحوا فعلاً أسرة مالكة في خراسان شبه مستقلة، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى انشقاق السلالات المحلية عن الخلافة العباسية في بغداد[٣].

الأوضاع الإدارية بعد الفتوحات:

ولاستقامة الأمور في ولايته، كان عبدالله يقوم بأعمال تساعد حقاً في تحسين الوضع بخراسان وماوراء النهر، وكما سنتعرف فيما بعد، كانت الزراعة تلعب دوراً رئيساً في اقتصاد خراسان، وبوجه خاص في اقتصاد ماوراء النهر، وكانت في غالبيتها زراعة بالري، الأمر الذي كان يؤدي من حين إلى آخر إلى نشوب قلاقل سببها عدم وجود أساس عادل لتوزيع مياه الري، مما أدى إلى سوء التصرف والفوضى في هذا الصدد، وتخلصاً من هذه الفوضى على مايراه صاحب(زين الاخبار)، الذي عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، جمع عبدالله بن طاهر فقهاء خراسان

(١) البلاذري، المصدر السابق، ٥/٥٧٦-٥٧٩؛ ينظر: اليعقوبي: المصدر السابق، ٢/١٦٥، ١٩١؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ٤/٣٥٣؛ الكرديزي: المصدر السابق، ص١٦٨-١٦٩.

(٢) اليعقوبي: المصدر السابق، ٢/٣١١-٣١٨.

(٣) نفسه، ٢/٣١٠-٣٢٧.

وجماعة من فقهاء العراق وكلفهم بوضع كتاب يسترشد به القضاة في أنحاء البلاد عند نشوء المنازعات حول توزيع المياه، فوضعوا كتاباً سموه (كتاب القنى) وكان هذا الكتاب على مايراه بارتولد(Bart hold) [١] مورد استرشاد في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر أيضاً.

وفي أيام عبدالله بن طاهر، تم انتقال مركز الولاية من مرو إلى نيسابور، المدينة التي ولد وعاش فيها أو في ضواحيها جماعة من فضلائنا من ذوي الشهرة العالمية، أمثال أبي القاسم الفِرْدَوسي صاحب(الشاه نامه) وعمر الخيام(ت ٥١٧هـ/١١٢٣م) وأبوحامد الغزالي(ت ٥٠٥هـ/١١١١م)، وعشرات غيرهم، وبقربها مزار علي بن موسى الرضا(ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) الإمام الثامن للشيعة، وقبر هارون الرشيد الخليفة الذي وافته المنية في ذلك الموضع سنة(١٩٣هـ/٨٠٩م)، وهو في طريقه إلى مرو مركز خراسان آنئذ، وأطاح بحكم هذه الأسرة سنة(٢٦٠هـ/٨٧٣م) يعقوب بن الليث الصفار، باحتلاله نيسابور [٢].

الخلاصة

في النهاية يتوصل قارئ هذا البحث إلى أن بداية انتشار الإسلام في الشرق الأقصى وبالتحديد في البلاد التي كانت تعرف ببلاد ماوراء النهر كان في سنة(٣٣هـ/٦٥٣م)، هذا من الناحية العسكرية، أما في الواقع فإن أهل هذه البلاد قد اعتنقوا الإسلام قبل هذا التاريخ، وبمجرد تناهي أبناء الدين الجديد إلى اسماعهم فبحسب إقرار أهل طاجيكستان التأييد، يبدو لنا أنهم قد دخلوا الاسلام قبل فتح مرو بكثير، وقد كان فتح مرو في سنة(٣٢هـ/٦٥٢م)، ومروراً بطخارستان وبخارى وبيكند وسمرقند وخجندة وترمذ والختل وأخرون وشومان والصغانيان وكاشان واروشت وفرغانة وكاشغر.

هذا ومما يجب إلفات النظر والإشارة إليه بأهمية بالغة هو هذا الانعطاف المفاجيء والمهم في سير تيار المد الاسلامي باتجاه الشرق وبلاد ماوراء النهر الذي حدث على يد

(١) اليعقوبي: المصدر السابق، ٢/٣٢٠-٣٢٣؛ قال الطبري: مات نيسابور سنة(٢٣٠هـ/٨٤٤م)، في حين ابن خلكان يذكر وفاته في (٢٢٨هـ/٨٤٢م)، ينظر: وفيات، ٣/٨٨.

(٢) الفارسي: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، دوشنبه ١٩٨٣م، ص٧٦؛ بارتولد: المؤلفات، ١/٢٧١.

قتيبة بن مسلم الباهلي الذي عينه الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على خراسان، وذلك عندما غيّر قتيبة توجه وسياسة الفتح الاسلامي في هذه الانحاء وغيّرها، بل وجرّدها من أغراض إكتساب الغنائم وكسب أكثر عدد ممكن من الناس وتوسيع الحدود محوّلاً الثقل فيها إلى أغراض نشر دين الاسلام وشرائعه وقيمه ومبادئه السمحة التي من أجلها اعتنق أهل هذه البلاد هذا الدين رغبة فيه من طيب أنفسهم وليس رهبة من أحد، بل قام قتيبة بترغيب الناس للدخول في دين الاسلام باستعمال كل الوسائل والاساليب التشجيعية وصرف من أجل ذلك الأموال بدل إكتساب الغنائم إلى جانب المبدأ الموجود والثابت في الاسلام، وهو (مبدأ عزة النفس الذي ينبغي لكل انسان مسلم أن يتحلى به الكامن في قوله تعالى: [وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ]، وقوله تعالى: [أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ]، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: {لاينبغي للمسلم أن يذل نفسه}، وفي عهد الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)(رضي الله عنه) تغيرت سياسة نشر الاسلام في بلاد ماوراء النهر، نحو الطابع السلمي أكثر، فقد قام(رضي الله عنه) بعزل الجراح بن عبدالله الحكمي عن ولاية خراسان الذي كان مبدؤه أن أهل خراسان لايصلحهم إلاّ الشدة.

هذا ويجب علينا أن لاننسى ولانتجاهل فضل ودور ولاة خراسان في بث ونشر الدين الاسلامي في ديار بلاد ماوراء النهر، من هؤلاء القواد نذكر عبدالله بن عامر بن كريز، وعبدالله بن حازم السلمي، والمهلب بن أبي صفرة، وقتيبة بن مسلم ونصر بن سيار والطاهريون.

هذا ولقد تركت لنا هذه الديار بفضل الإسلام فضلاء وعباقرة، يخلد العالم ذكرهم أبد الآبدين نذكر منهم: أبا القاسم الفردوسي وعمر الخيام(ت ٥١٧هـ/١١٢٣م) وأبوحامد الغزالي(ت ٥٠٥هـ/١١١١م) وعشرات غيرهم، كما ويأوي ترابها رفات عشرات آخرين ليس أقل منهم شهرة ونذكر أمثال علي بن موسى الرضا(ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) والخليفة هارون الرشيد(ت ١٩٣–٨٠٨م) وغيرهما كثير وكثير.

Islam Spread in the Far East

Prof.Dr. Ahmed A. Mahmoud, Phd

Abstract

By the end of this paper the reader will realize that the spread of the Islamic religion in the Far East and in the country known as the country beyond the river in particular was in the year (33 A.H. / 653 A.D.). This is in terms of military, but in reality the people of this country had converted to Islam before this date and according to the confession of solidarity by the people of Tajikistan it seems that they converted to Islam before the conquest of Maro which was in the year (32A.H. / 652A.D.) who was passing through Boukharistan, Bokhara, Bekind, Samarqand, Khajenda, Termith, Khitle, Akron, Shouman, Saghanian, Kashan, Arousht, Farghana and Kashgher.